كان هذا هو الموجز

- ناولته زوجة شقيقه تذكرة الهيروين، والساطور، فراح يمزق جسد شقيقه، ويضعه فى جوال وفى أحد حقول الذرة ضاجعها ثانياً وتركا الجوال!!

جريدة «الأهرام» المسائى فى الثلاثاء ٦ أغسطس ١٩٩١

- اللواء عبد الواحد إسماعيل مدير إدارة مكافحة المخدرات يقول: بأن المرأة لا تقتل، إلا إذا أدمنت المخدرات، وتلك هى الخطورة الحقيقة للمخدرات»!!

- "كنت، أعين اللصوص، والمنافقين، وعديمى الكفاءة فى أهم المناصب، وأبعد عنك الشرفاء، هذه مهمتى الوحيدة كجاسوس، وهي، مهمة بسيطة مثل شمة الهيروين»!!

obeikandl.com

لا أحب القتل، ولا القتلة أهرب من رؤية الدم..

أقرأ صفحات الحوادث، واعتذر عن الكتابة فيها.

لكن الجريمة هذه المرة، لم تخطر لى على بال.

الجريمة هذه المرة فوق طاقتى على الاحتمال.

ليس لأنها وقعت فى إحدى مدن محافظة الشرقية، وأنا واحد من أبناء هذه المحافظة، التى كانوا- حتى الأمس- يصفون أبناءها بالطيبة، والكرم، إلى حد «العبط».

وليس لأن سببها هو الخيانة الزوجية، وأنا أمقت الخيانة وأحتقر الخونة.

وليس لأن «دناءة» الزوجة وعشيقها وصلت إلى حد قتل الزوج المخدوع بالساطور، وهو نائم.

وإنما بالضبط، لأن العشيق، هو شقيق الزوج، والقاتل هو شقيق التقيل!!

والسبب: هو، إسرائيل!!

كيف؟!!

كان هذا هو الموجز، وإليكم «المصيبة» بالتفصيل.

★★★

الاسم: سونيا عبد الكريم.

والعمر: عمر الطيش، والأنوثة، والرغبة الغبية.

بالضبط: خمسة وعشرون عاماً، وخمسة أشهر وستة أيام، أما زوجها فيكبرها باثنى عشر عاماً وتسعة أشهر وثلاثة أيام.

وثلاثة أيام: هى أيضاً عمر الرائحة الغريبة التى حيرت أهالى القرية، وظلت تنبعث من حقل «الذرة» قبل أن يتلقى اللواء محمد عبد الرءوف غنيمة مدير أمن محافظة الشرقية، بلاغاً بالعثور على أشلاء جثة مشوهة، ومبعثرة، فى أحد حقول الذرة بقرية «قصاصين الشرق» مركز الحسينية، الرأس مهشمة والأشلاء مبعثرة، والرائحة كريهة!!!

وعلى الفور- قالت الصحف- بأن العميد أحمد سليم مأمور مركز الحسينية ومعه العقيد محمد الإمام، مدير المباحث الجنائية والمقدم يوسف غانم رئيس المباحث، والملازم سمير فرج معاون المباحث، كلهم انتقلوا إلى القرية، ومعهم قائمة أخرى طويلة من الرتب والألقاب، التى لا أعرف لماذا يحرص محررو الحوادث على أن يقولوا لنا فى كل حادثة، بأنهم- دائماً- قد انتقلوا إلى موقع الحادث على رأس قوة كبيرة من العسكر والمخبرين، دون أن يذكروا لنا بالمرة أسماء هذه القوة فرداً، فرداً!!!

وبصعوبة بالغة: عرف أهل القرية، بأن الجثة هى جثة قاتلهم (محمد إبراهيم) الذى يعمل هو وشقيقه الأصغر «ممدوح» فى تجارة المخدرات.

وبسهولة بالغة أيضاً: عرف الجميع «المصيبة»، فسونيا- كما قلنا- فى الخامسة والعشرين من عمرها، سونيا فى عمر الرغبة المحمومة، وزوجها الذى يكبرها بأكثر من اثنى عشر عاماً،

هدته المخدرات، لم تعد تحركه الفساتين «المحزقة» ولا القمصان الشفافة، ولا الأرداف المكتنزة، ولا الصدر الرجراج، النافر، مهما كوره «السوتيان» أو اتسعت فتحة الرقبة، لا شيء تقريباً أصبح يحركه سوى البوليس، والفلوس، وتوزيع البضاعة!!

أما شقيقه الأصغر ممدوح، فهو لم يكمل بعد عامه الثانى والعشرين، أى أن النار مع البنزين فى بيت واحد، يعيشان تحت سقف واحد، ويأكلان، ويشربان، ويجلسان حول طبق واحد!

وطباخ «السم» دائماً يذوقه «ومرة بعد مرة»، أدمن الشقيقان تجارة المخدرات وتذوقها، والمخدرات تقتل النخوة، وتميت الإحساس، وتبرر الخيانة، فما الذى يمنع ممدوح- إذن- من أن يتجرد من إنسانيته، ويهتك عرض شقيقه الأكبر؟!

تذكرة هيروين واحدة، تكفي- فى كل مرة- لأن تسلبه وعيه، وتخمد ضميره، لكن الهيروين دائماً مع الشقيق الأكبر، فلماذا يظل هكذا تحت رحمته؟!

لماذا لا يتخلص منه، ويحصل هو على كل شيء: سونيا، والهيروين، وفلوس الهيروين!!!

لحظة من فصلك

بهدوء، تم كل شيء.

وبهدوء- أيضاً- اعترفا بكل شيء!!

سونيا دست لزوجها خمسة جرامات كاملة من الهيروين، فى كوب من اللبن الساخن، بحجة أن اللبن سوف يساعده على

النوم الهادئ، فلما شربها الزوج، وغرق فى "الموت" ضاجعها شقيقه على سبيل المكافأة، خافت الزوجة أن يعود زوجها- ثانياً- إلى الحياة، فيحرمها مما هى فيه الآن، انسلت من تحت شقيقه، وقامت إلى زوجها، فخنقته ثانياً، وهو ميت، ثم أمسكت ببلطة حديد، وانهالت بها على رأسه حتى هشمتها تماماً!

ضمها ممدوح إلى صدره بشدة، ناولته تذكرة الهيروين، غاب معها فى قبلة طويلة، ناولته الساطور، فراح يمزق به جسد شقيقه إلى أشلاء، أشلاء، ويضعها فى جوال من الخيش!!!

وفى أحد حقول الذرة، ضاجعها ثانياً وتركا الجوال!

ويوماً بعد يوم: خرجت الرائحة الكريهة!!

من أول السطر

اللواء عبد الواحد إسماعيل مساعد وزير الداخلية قال لى وقت أن كان مدير لإدارة مكافحة المخدرات بأن المرأة- فى وضعها الطبيعي- لا تقتل، لكنها إذا أدمنت المخدرات أو أصبحت أسيرة للجنس، دون أن تجد المال، أو المخدرات، أو الشخص الذى يشبع هذه الاحتياجات المريضة.

والمرأة- أو الرجل- التى تتورط فى مثل هذه الجرائم المقززة، هى نموذج شاذ، لا يصلح للتعميم، خصوصاً وأن تعاطى الهيروين أو الكوكايين، أو غيرهما من المخدرات البيضاء على وجه الخصوص، يقتل كل القيم الإنسانية، والأخلاقية لدى الإنسان، ويجرده من كل ما تعارف عليه البشر من قيم فاضلة فى سبيل

الحصول على «جرعة» المخدر، تلك الجريمة التى تفجر الغرائز الشريرة فى متعاطيها، وتزين له ارتكاب أى جرم، فيبيع، ويخون، ويقتل أحب الناس إليه، وأقربهم منه، يبيع شرفه ويخون وطنه، ويقتل شقيقه، ثم يتحول بالتالى إلى حيوان فاسد، ومدمر، وكريه، يستخدمه الأعداء بيسر، وسهولة، كأداة غيبية مسلوبة الإرادة، تنفذ أحط ما يدبر ضد وطنه من تخريب، وتجسس، ومؤامرات، وتلك هى الخطورة الحقيقة للمخدرات»!!

يبن قوسين:

لو أننى المحامى المكلف- رسمياً- بالدفاع عن «سونيا» لاختصرت دفاعى فى جملة واحدة تقول:

سيدى القاضي: اعدمها وتوكل، اعدمها، وتوكل على الله الذى شرع حد الزنا وحد القصاص.

أما ذلك «الشقيق» العشيق، الذى غيبته المخدرات، وسلبت منه معنى الأخوة، فهتك عرض شقيقه، وقتله بنفس «السم» الذى كان يقتل به أهله وعشيرته، فتلك هى سخرية زمن الامتهان، والتبعية، والغثيان، والركوع من أجل المال، ذلك الزمن الذى لازلنا ندفن فيه رؤوسنا فى الرمال، حتى لا نرى إسرائيل وهى تغرقنا- يومياً- بالهيروين، والإيدز، وكل ما هو قبيح، لندمر به أنفسنا، بأنفسنا، ونستريح!!!

وزمان، زمان جداً، قيل لأحد الحكام، أن مستشارك، وكاتم أسرارك، وأقرب الناس إليك يا سيدي، جاسوس، زرعه الأعداء فى قصرك.

وعليه: راقب الحاكم مستشاره سراً، راقبه طويلاً، فلم يعثر على أى دليل، ولم يلحظ عليه ما يثير الشك أو يؤكد الاتهام.

وفى أحد الأيام..

لما اشتد المرض على المستشار قال له الحاكم، وهو على فراش الموت: إذا أردت لروحك أن تهدأ فى السماء، دلنى على الحقيقة، هل كنت حقاً جاسوساً، يعمل لصالح الأعداء؟!!

فأجابه المستشار: نعم يا مولاي..

سأله الحاكم: كيف، وأنت الذى لم تتصل يوماً بالعدو؟!!

فرد المستشار قائلاً: «كنت يا مولاي، أعين اللصوص، والمنافقين، وعديمى الكفاءة فى أهم المناصب، وكنت أيضاً أبعد عنك الخلصاء، والشرفاء، والموهوبين، هذه بالضبط، كانت مهمتى الوحيدة كجاسوس، وهى كما ترى يا مولاي، مهمة بسيطة، ومبتكرة، وفى ذات الوقت، مثل شمة الهيروين، كافية جداً لتدمير الوطن وتخريب النفوس»!!

★★★

الآن، هل عرفتهم لماذا قلت فى البداية أن إسرائيل تريدنا أن نصبح جميعاً «ممدوح، وسونيا»؟!! وهل مستشار الحاكم، هو فقط الذى قال ما قاله، زمان؟!!!

للأسف: كلهم قالوها.. من هم بالضبط؟!